عبد الله حسن الفارسي

مملكـة الجبين

ما بين الأنــوار والظــلال

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS™
LONDON * CAMBRIDGE * NEW YORK * SHARJAH

الفصل الأول

في منتصف الليل، كان القمر بدراً يطل على المملكة بضوئه البديع ونوره اللطيف الذي يداعب الغيوم في السماء المظلمة. وفي إحدى القرى البعيدة جداً عن قلعة الملك والمدينة المزدحمة بالناس واسمها (قرية الأنوار)، كان هناك رجل ذو شعر أسود وعيون سوداء يجلس على كرسيه الخشبي في غرفته التي في الطابق العلوي في بيته الكبير. لا يضيء الغرفة إلا ضوء القمر النافذ من نافذته الزجاجية، وبالكاد يمكن رؤية ملامح الغرفة، إلا أن عيني الرجل اعتادتا على الظلمة والإضاءة الخفيفة.

كان الرجل في الأربعين من عمره يجلس حزيناً ويغطي بكفه الأيمن نصف وجهه في حسرة وحزن يخالطهما الندم والحيرة، وكان يلبس بجامة نومه الحمراء التي بدت كالدم الميت على جسده.

أخذ نظرة على كلتا يديه وهو يسأل نفسه: (أيعقل...؟! أيعقل أنني فعلت ذلك؟! أنا؟! أنا أفعل هذا الأمر الشنيع؟!).

وقف على قدميه وتوجه إلى النافذة التي كانت قرب سريره الخشبي والهدوء يبسط نفسه في المكان. **قال** الرجل وهو ينظر إلى السماء: لم أتخيل يوماً أنني

سأقتل عشرة أشخاص. تنهد بحسرة **وأكمل:** عشرة أشخاص صار دمهم في رقبتي!

كانت الكآبة تعتريه بالكامل، ولا يعرف ماذا يفعل الآن، وعندما التفت إلى غرفته، لمح شيئاً أسودَ كالدخان على الأرضية الخشبية، فخاف وارتعب. وما هي إلا لحظات حتى تجمع الدخان الأسود على يمين الغرفة، وبعده بقليل تجمع دخان آخر على يساره أيضاً بشكل مخيف ومريب. تسمّر الرجل في مكانه وساقاه لا تساعدانه على حمله. وبعد ثوان قليلة، تجسد الدخان على اليمين على شكل رجل قصير يرتدي ثياباً سوداء.

قال الرجل القصير: عثرنا عليك أخيراً.

ومن ثم تجسد الدخان الأسود الذي كان على يسار الغرفة على شكل رجل آخر يشبهه وكأنه توأمه ويرتدي ثياباً سوداءَ مثل الأول بالضبط. **قال** حين ظهر وابتسامته الخبيثة تغطي وجهه: دعه لي يا (سواد)، أنا من سيقتص منه.

كاد الرجل الأربعيني أن يموت رعباً؛ فما حدث أمامه شيء عجيب حقاً وغير مألوف، **قال بتلعثم**: مـ.. من أنتما؟!

قال سواد: لا يا (داكن)، فأنا من سيقتله!

هجم الرجلان عليه وهما يتشكلان على هيئة كرتين دخانيتين كثيفتين جداً، وغطيا جسمه وهو يضرب يميناً ويساراً حتى أغمض عينيه عندما شعر وكأنه يحلق في الهواء.

فتح عينيه بحذر ليجد نفسه في مكان آخر، أو ربما في عالمٍ آخر لم يألفه أو يره من قبل. وزاد توتره حين لاحظ نفْسه معلقاً في الهواء بدون جاذبية وكأنه يطير، وفي نفس الوقت لا يستطيع التقدم أو التأخر. وصار ينظر حوله بدهشة

من هول المكان الذي كان كالفضاء، فلا يوجد شيء تحت قدميه سوى قاع مظلمة جداً، وفوقه سماء رمادية تتوسطها شمس سوداء.

سأل الرجل نفسه والخوف يقطعه: (أين أنا؟! ما الذي يحدث؟!)

وظهرت حوله غربان سود بعيون تشتعل احمراراً، وكان عددها بالمئات. تحلق حوله وتنعق بغضب، وعرف الرجل أنها لن تتركه وشأنه. وهجمت عليه وصوت رفرفة أجنحتها مزعجٌ جداً. حاول الرجل تغطية وجهه بذراعيه، وصارت الغربان تنقر جسده وكأنها تريد أكله، فتوجع كثيراً ونزفت منه الدماء من كل أنحاء جسده وحين أدرك أنه سيموت لا محالة، ظهر ضوء أخضر ساطع من جسده وأحرق كل الغربان المهاجمة ولم يترك لها أثراً، وتعافت جروحه وشعر وكأنه ينتقل إلى مكان آخر عبر الهواء، فسقط على أرضية غرفته الخشبية بقوة.

وبعد لحظات، خرجت الكرتان الدخانيتان من العدم، وصوت أحد الرجلين يخرج منها **يقول:** ما الذي حدث يا داكن؟!

قال الآخر بصوت مخنوق وكأنه يتألم: لا.. لا أدري.. ولكن لنرحل بسرعة، فقد تعرضت لإصابة!

انفجرت الكرتان محدثتين صوتاً مدوياً ومزعجاً أيقظ الجيران.

دخل أحد ما غرفة الرجل الأربعيني وهو **يصرخ:** ما الذي حدث يا أبي؟!

كان الدخيل فتى قد أكمل لتوه خمسة عشر ربيعاً، وخاف على أبيه كثيراً حين رآه على الأرض عاري الجسد وتغطيه هالة خضراء عجيبة وتسبح فوقه ثلاث كرات خضراء مضيئة لها ذيل كالأسماك. ارتجف الفتى من الخوف ونزل إلى الطابق السفلي وهو يصرخ بالناس. وعندما خرج من البيت الكبير وجد بعض الرجال عند عتبة الباب والقلق والحيرة مغروسان في عيونهم.

سأل الأول الذي كان طويلاً ونحيلَ الجسد، وشعره القصير أسودَ اللون، وملابسه بنية وعمره في الأربعينات: ما الذي حدث يا (سلام)؟

أجاب وهو يرتجف: لا... لا أعرف ما حل بأبي!

وضع الثاني الذي كان في أواخر عقده الثالث وسميناً بعض الشيء وشعره قرمزياً ويلبس بجامة نوم صفراء ذراعيه على كتفي سلام **وقال له:** اهدأ! أين هو الآن؟

قال وهو يشير إلى الأعلى: إنـ... إنه... فوق.

نظر الأول خلفه إلى الرجال **وقال:** ليأتي أحدكم بالحكيم!

دخل الرجل الأول إلى المنزل مع الرجل الثاني وهو **يقول** لسلام: خذنا إلى أبيك.

قال سلام: حسناً.

صعد الثلاثة إلى الأعلى حيث غرفة الرجل المضيء، وأشار سلام إلى الغرفة وكان بابها مفتوحاً ونور خافت يظهر منها.

قال الأول لسلام: ابق أنت هنا. ثم **وجه كلامه** للرجل الثاني: اتبعني يا (قرمز).

همس قرمز: كن حذراً يا (حجر).

أخذ حجر يمشي بخطوات هادئة وحذرة إلى داخل الغرفة ويتبعه قرمز وهو يطل برأسه من خلال الباب ليلقي نظرة على الغرفة، ووجدا الرجل العاري على الأرض وتعجبا من الهالة الخضراء الخافتة التي غطته بالكامل، وثلاث كرات مضيئة تطير فوق رأسه وذيولها تتموج بنعومة وكأنها تسبح.

قال قرمز وقد اعتراه الرعب: ما هذا يا حجر؟ ما الذي يطفو فوقه؟

- أرى ثلاثة أنوار وليست لدي أدنى فكرة عما تكون!

- إنها لشيء عجيب! لم أرها من قبل!

- علينا أن نغطيه يا قرمز.

خاف قرمز **قائلاً:** مـ... ماذا؟!

استجمع حجر قواه وشجاعته وتقدم إلى السرير الخشبي ونزع الغطاء الأبيض عنه.

قال قرمز: الحذر الحذر يا حجر!

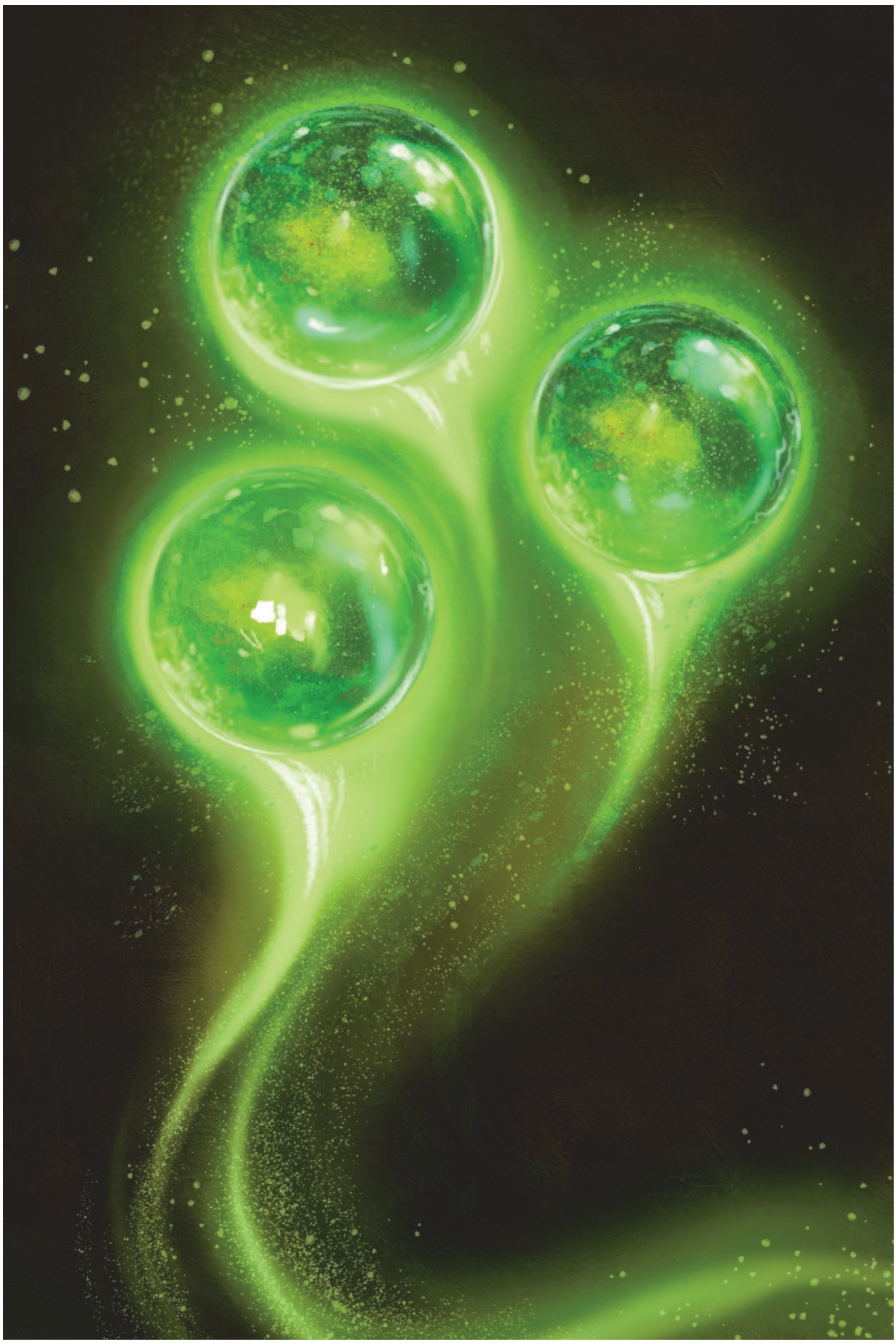

كان حجر يتنفس بخوف وأطرافه ترتجف قليلاً وهي ممسكة بالغطاء، فهما لم يريا رجلاً يضيء بهالة خضراء وفوقه أنوار تطفو وتسبح في الهواء. وضع الغطاء على الرجل ليغطيه ومن ثم حاول إيقاظه.

قال وهو يهز جسده: (ضياء).. انهض يا صديقي!

لم يستجب السيد ضياء أبداً، ولم يبدِ أي حركة.

سأل قرمز: هل مات؟

وضع حجر سبابته على وريده فتحسس نبضه **وقال:** أوه! لا يزال حياً يا قرمز.

اطمأن قرمز **وسأل:** ما الذي أصابه بالضبط؟

- ربما الحكيم يعرف الإجابة على هذا السؤال.

عدل حجر الغطاء جيداً على السيد ضياء، ثم **قال:** ساعدني يا قرمز.

- بماذا أساعدك؟

- علينا أن نضعه على السرير.

- مـ.. ماذا؟!

- لا تخف يا جبان، فلن يحدث شيء!

- وما أدراك بذلك؟

وضع حجر كفه الأيمن على وجهه وصار يمسحه إلى الأسفل وهو يفكر كيف يفسر لقرمز أن لا شيء سيحدث.

قال حجر: لا تكثر من الكلام وتعال لنرفعه على السرير.

بلع قرمز ريقه وهو مرعوب من السيد ضياء وهالته الخضراء، وتقدم إليه وساعد حجر على رفع جسمه على السرير، فلحقت به أنواره الثلاثة لتعوم فوقه من جديد. تنفس الاثنان الصعداء حين وضعاه وعدّلا من وضعيته ليرتاح أكثر.

وخرجا إلى سلام ونزلوا إلى الطابق السفلي وجلسوا في غرفة المعيشة على الطاولة الخشبية المستديرة وعليها فانوس زجاجي قديم ينير المكان.

سأل قرمز سلام: كيف حصل معه هذا؟ وما مصدر الضوء؟

قال حجر: لا ترهق الولد يا قرمز فكلنا لا نعرف الإجابة.

قال سلام مطرقاً رأسه: أظنني.. أعرف.

نظرا إليه بتعجب، وقبل أن يكمل حديثه، طرق أحد ما الباب ونهض سلام ليفتحه وقد كان خلفه شيخٌ كبيرٌ في السن بلحية بيضاء قصيرة جداً، وملابسه الرسمية سوداء، ومعه حقيبة بنية والقليل من القرويين الفضوليين خلفه يريدون معرفة ما حصل بالضبط في هذا المنزل.

قال سلام وهو يفسح الطريق للشيخ: تفضل يا سيدي الحكيم.

- هل والدك بخير يا سلام؟

- لا أعلم يا سيدي.

صرف الحكيم جميع القرويين لبيوتهم ما عدا حجر وقرمز؛ لأنهما كانا في البيت أساساً، وعرف من أحد الرجال أنهما دخلا البيت ليستطلعا ويتحققا من الأمر.

سأل الحكيم عندما رآهما على الطاولة: ما الذي حصل؟

أجاب حجر: لا نملك أي فكرة.

- حسناً، خذني إليه يا حجر.

صعد حجر مع الحكيم إلى غرفة السيد ضياء وتركا قرمز وسلام وحدهما في غرفة المعيشة يجلسان على الطاولة في حيرة وحزن على ما أصابه. لاحظ قرمز

القلق باد على وجه سلام، فوضع يده الثخينة على كتفه ليواسيه، **وقال** له مبتسماً: لا تقلق.. سيكون بخير.

نظر سلام إلى قرمز وبادله الابتسامة.

في غرفة السيد ضياء، أغلق حجر الباب ونزع الحكيم الغطاء ليكشف عن جسمه فتراجع من هول الصدمة وهو يرى الهالة الخضراء وكرات الضوء فوقه.

سأل الحكيم وعيناه مفتوحتان: مـ... ما هذا؟! وما هذه الأنوار؟!

تقدم حجر نحوه وهو **يقول:** كلنا محتارون مثلك يا سيدي.

خاف الحكيم ومن ثم اقترب من ضياء بحذر وصار يفحصه بهدوء ولاحظ أنه يتنفس بشكل طبيعي ولكنه فاقدٌ وعيه.

قال الحكيم: إنه بخير، وأعتقد أنه سيستيقظ من غيبوبته في الصباح.

أخرج عبوة زجاجية من حقيبته واسقاه القليل من محتواها وهو **يقول:** هذا الدواء سيساعده على التحسن.

سأل حجر وهو يقف عند الحكيم: ألم ترَ حالة كهذه من قبل يا سيدي؟

قال الحكيم وهو يعيد الغطاء على ضياء: كلا، إنها المرة الأولى. إنها حالة عجيبة حقاً ونادرة جداً!

- أقترح أن ندعه يرتاح الآن.

- نعم، سيكون بخير في الصباح.

- آمل ذلك.

خرج حجر والحكيم من الغرفة وأغلقاها بهدوء ونزلا إلى الطابق السفلي ليجدا قرمز وسلام هادئين على الطاولة ينتظران نزولهما.

وقف سلام على قدميه عندما رآهما يقتربان، **وسأل:** كيف حال أبي يا سيدي؟

قال الحكيم: إنه بخير وسيتحسن قريباً، ولكنني لا أجد تفسير الهالة الخضراء التي تظهر منه.

سلام: هل هي خطيرة؟

قال حجر: لا علم لنا يا سلام؛ فنحن محتارون مثلك.

قال الحكيم وهو يجلس على الكرسي: هناك خطب ما.. أو شيء ما قد حصل معه.

قال حجر وقد سحب كرسياً هو الآخر: أعتقد أنك كنت تريد أن تقول لنا شيئاً يا سلام.

نظر قرمز إلى سلام **قائلاً:** أجل! كنت تريد أن تقول لنا شيئاً بخصوص والدك.

نظر سلام إلى أعينهم الحائرة والمتسائلة تحت ضوء الفانوس الزجاجي وفي قرارة نفسه لا يدري إذا كان إخبارهم بالحقيقة صواباً أم خطأ، ولكنه أحس أن كتمان مرض أبيه ليس لصالح أحد، وقد يعود إلى أبيه بالضرر. شبك أصابعه بتوتر، فوضع قرمز يده عليها ليطمئن قلبه، ونظر من خلال النافذة القريبة إلى السماء المظلمة وأخذ نفساً عميقاً.

قال سلام ليزيل الهم عن قلبه: لا أعرف كيف أبدأ... حسناً.. هممممم.. تغيرت حياة أبي بعد أن خرجنا من قلعة الملك في آخر زيارة لنا، أي منذ شهر تقريباً.

وصار سلام يحكي لهم القصة بتفاصيلها وأحداثها الدقيقة...